



د. باقر النجار

أستاذ علم الاجتماع - جامعة البحرين

## لماذا يذهب "الأفراد" إلى مناطق الاضطرابات؟

"الدولة الإسلامية". هذه الحالة سبق وأن خبرتها دولة طالبان في أفغانستان إذ هاجر إليها آنذاك بعض من العرب والمسلمين، الذين يعيشون في الغرب لأسباب وتوجهات أيديولوجية، أو رغبة منهم في أن يخضعوا أبناءهم، كما يعتقدون، "لتنشئة إسلامية جديدة"، بعيداً عن مؤثرات و"إغواء" الحضارة الغربية.

وبمقابل هؤلاء، فإن بعضاً آخر من الأفراد مازال ينتقل لهذه الدول رغبة في العمل، على الرغم من الخطورة التي تحيط بهذا الانتقال، إذ تبقى هذه الدول مصنفة ضمن قائمة الدول غير مستقرة بل ومنهارة. فعلى الرغم من افتقار العراق وليبيا لأي شكل من أشكال الأمان الشخصي، بل وضعف الدولة فيهما على أداء وظيفتها الأمنية، فإن هناك نفراً من الناس يحزم حقائبه مسافراً لها بحثاً عن العمل في هذه البلاد. هؤلاء هجرتهم لأسباب اقتصادية بحتة، وليس تلبية لنداءات دينية أو أيديولوجية. فهؤلاء الأفراد ينزحون

ارتكبت بحق بعض الجماعات الإثنية والدينية في العالم كالأرمن دفعتهم نحو النزوح عن أوطانهم.

### أولاً: نزوح إلى مناطق الصراع

خبرت المنطقة العربية منذ سبعينيات القرن الماضي الهجرة بدوافع اقتصادية، من دول الطرد إلى دول الجذب، لكن السنوات القليلة المنصرمة وبفعل ما سمي "الربيع العربي"، وانفجار الصراع على السلطة الذي أخذ في بعض هذه الدول أبعاداً دينية وإثنية وقبلية وجهوية، ونتيجة الصراعات الأهلية المدمرة في هذه الدول، شهدت حالات نزوح لكنها ذات طبيعة مختلفة هذه المرة. فقد حدث نزوح هائل لسكان مناطق الصراع إلى دول الجوار من جانب، ومن جانب آخر وبالمقابل شهدت دول النزوح هجرة عكسية إليها، إما بفعل تلبية لنداء "الجهاد" أو لكسب الرزق. ويقع النازحون استجابة لنداء الجهاد في فئتين: فئة انخرطت في العمليات المسلحة في هذه الدول، وأخرى انخرطت، وبفعل بعض الكفاءة التي يمتلكها، في خدمة

ينزح الأفراد من أوطانهم لمجتمعات أخرى بفعل عوامل الجذب هناك والطرده في دولهم، ولكن اللافت أن عوامل الطرد الداخلي قد لا تكون في جلها حقيقية كما هي عوامل الجذب في مجتمعات الاستقبال.

يهاجر الأفراد والجماعات لأسباب عدة، تتعلق بالرغبة في تحسين أحوالهم المعيشية، أو لتبنيهم أفكاراً أصبح من الصعب أن يحيوا بها في دول الإرسال، وأحياناً تكون هذه الأفكار عابرة للحدود فيكون الحل هو الهجرة لدول أخرى قادرة على التعايش مع هذه الأفكار، أو أنهم دول تتبنى أفكارهم وتوجهاتهم، أو أنهم يهاجرون من بلدانهم حفاظاً على أرواحهم وأعراضهم بعدما غاب عنهم الأمن والأمان. وليس سرّاً القول إن الأفراد في نزوحهم يخضعون لحالة نفسية بعضها فردي وبعضها جماعي، نتيجة حالة الهلع الجماعية التي تنتاب الأفراد عند تعرض مجتمعاتهم لجلل ما، قد تدفعهم نحو النزوح عن أوطانهم. فالمذابح التي

المناطق "كمجاهدين" في سبيل الله، لهم في الآخرة الجنة وحوور العین، هكذا أفهموهم! وهم عند انتقالهم يخضعون لترتيبات معينة تنظمها القوى والتنظيمات الإسلامية فيتم تقسيمهم إلى فئات وجماعات بعضها يدخل في الخدمة ضمن طواقم الدولة الجديدة إذا ما كان ممتلكاً لبعض الخبرة والمعرفة، وبعضهم ينتقل محارباً في صفوف ميليشياتها المحاربة أو تلك المنفذة للقتل عبر عملياتها الانتحارية.

وهناك بعض النازحين بتسهيلات من مقاولين وشركات تجذب العمال من الفئات الدنيا. وفي بعض الأحيان تكون هذه الفئات وبفعل تدني مواقعها الاجتماعية وضعف ثقلها الاقتصادي أكثر الفئات المهاجرة تعرضاً للخطر وربما الموت. اللافت أن هؤلاء النازحين يتعرضون لإلقاء اللوم عليهم من المراقبين الخارجيين بدعوى أنهم يؤججون استمرار الاقتتال الداخلي في المناطق التي هاجروا إليها، وأنهم يساهمون في إفقار أهلها ولربما فساد طبقتها السياسية، بل ويلقى عليهم اللوم في حال تبنت دولهم الأصلية مواقف هبتها لنجدهم.

خلاصة القول إن الحروب الأهلية والاقتتال بين الدول وحالة الاضطرابات التي تسود بعض الدول قد تؤدي إلى النزوح منها ومنع البعض من الهجرة إليها، لكنه في أحيان أخرى قد يدفع البعض الآخر للبحث عن عمل أو إقامة استثمار فيها. فهو يبحث عن فرصة للثروة والغنى قد تتحقق له على الرغم من الدمار المحيط به.

وتزخر الخبرات الإنسانية بتجارب لنزوح أشخاص أو جماعات بحثاً عن وضع أفضل في دول هي الأخرى تفقر للأمان والسلم. وبعض هؤلاء قد استطاع أن يشق طريقه للثراء والعيش في هذه البلاد، إلا أن بعضهم الآخر قد ابتلعه حروبها وغرق في طوفانها الدموي المدمر.

هؤلاء من خبراء الأمم المتحدة أو مستشارين أجانب أو مسؤولي شركات أجنبية لها الكثير من الاستثمارات في دول الاضطراب أو مستثمرين أجانب قد جاءوا على مسؤوليتهم الشخصية، يدفعهم في ذلك حب المغامرة وارتفاع العائد الاستثماري. أفغانستان على سبيل المثال، على الرغم من حالة الاضطراب التي هي عليها منذ سقوط نظام طالبان بعد الحرب الأمريكية ضد الإرهاب ضدها منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، فإنها لم تخل من الأجانب الباحثين عن فرص عمل في مستوياتها الوسطى والعليا على الرغم من أنها دولة شديدة الاضطراب.

وبالمثل يمكن القول إن العراق وليبيا على الرغم من حالة عدم الأمان والاضطراب والغياب شبه الكامل

لقد حدث نزوح هائل لسكان مناطق الصراع إلى دول الجوار من جانب، ومن جانب آخر وبالمقابل شهدت دول النزوح هجرة عكسية إليها، إما تلبية لنداء "الجهاد" أو لكسب الرزق.

للدولة، فإن تدفق الباحثين عن العمل إليها في مختلف المستويات المهنية لا ينقطع. وإذا كان للدولة بعض الحضور في العراق فإنها في الحالة الليبية تبدو شبه معدومة. بل إن الشارع بات محكوماً فيها من قبل مسلحين وميليشيات بعضها يعمل لما بقي من الدولة من وجود وبعضها الآخر يعمل لصالح قوى قبلية، وأخرى إسلاموية.

### ثالثاً: أطراف مستفيدة وأخرى خاسرة

يشير العرض السابق إلى أن المنتقلين للعمل في مناطق الصراعات الأهلية في المنطقة العربية لا يمكن وضعهم في خانة واحدة. وهناك جهات تسهل وتستفيد من عمليات النزوح تلك، وتشجع عليها. فبعض النازحين انتقل لهذه المناطق خلسة وبترتيبات من قبل التنظيمات الجهادية من خلال تعبئة دينية-أيدولوجية، ومن ثم انتقلوا لهذه

لهذه الدول باعقادهم أنها أهون عليهم من حالة الجوع والعوز والبطالة التي هم عليها في دول الإرسال. من جانب آخر يتخذ كثير من هؤلاء قرارهم بالهجرة لهذه الدول بناء على معلومات غير رسمية عن الحالة الأمنية في هذه الدول، وهي معلومات تنقل إليهم من أقارب أو أصدقاء مقيمين هناك، وأحياناً من متعهدي الشركات التي سينتقلون للعمل فيها، وهم في الغالب من جنسيتهم نفسها.

### ثانياً: أنواع النازحين إلى مناطق الصراع

تتنوع أنماط النازحين إلى مناطق الاضطرابات والصراعات إلى نوعين:

**1- العمالة المتدنية من حيث التعليم والخبرة:** هم في الغالب ممن يعملون في المهن الدنيا، وعادة ما ينتقلون إلى مناطق الصراع عبر القنوات الشخصية غير الرسمية لا توفر للداخلين من خلالها العمل أو ضمان العيش الرغيد أو الأمان، وهو ما يوقع هؤلاء في كثير من الأحيان في مصيدة القوى المتقاتلة فينضمون إليها، أو أن تحتجزهم هذه القوى انتقاماً من دولهم أو نتيجة لانتماءاتهم الدينية والمذهبية. هذا تحديداً يفسر قتل العمال المصريين المسيحيين العاملين في ليبيا على يد التنظيم الجهادي الداعشي هناك، أو أسر "داعش" وقتل من يقع تحت قبضته من الشيعة و الأكراد في العراق.

**2- الخبراء والاستشاريون:** فهناك فئة أخرى من العمالة المهاجرة التي ترتفع أجورها عن المعتاد وفي الغالب يتقاضون رواتب "خيالية"، وتتم عملية استقدامهم من قبل الشركات الكبرى العاملة في النفط أو في القطاع الحكومي نتيجة للحاجة لخبراتهم وكفاءتهم المهنية، كما يتقاضون علاوات متعلقة بخطورة الوضع الأمني في هذه الدول. ويتمتع هؤلاء بقدر من الحماية الشخصية وبالضمانات المهنية. ويسكنون في الغالب في مناطق منعزلة عن السكان المحليين وذات حماية مرتفعة. وأغلب